وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

مجالات بناء الإنسان في القرآن الكريم

اسم الباحث/ـة

د/ عليا عبد الرحمن العظم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي شرّف الأرض بوحي السماء، وأكرم الإنسان بمهمة الاستخلاف، وأنعم عليه بالمنهج الذي يهديه، وكلّفه بتزكية نفسه وفق ذلك المنهج، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، الذي أوصل المنهج الذي يهدي الإنسان ويصنعه، ويقوده نحو تحقيق الاستخلاف، فأدى الأمانة، وبلّغ الرسالة، وطبّق المنهج، وترك الأمة عزيزة بين الأمم. أما بعد:

فلقد قدّم كتاب الله هدايات تحقق صياغة الإنسان، وتمكّنه من القيام بدوره في عبادة الله وتوحيده، وفي عمران الأرض، وتحقيق قيمة الاستخلاف. وبناء عليه يهتم هذا البحث ببيان مجالات بناء الإنسان في الرؤية القرآنية؛ باعتباره فرداً ومجتمعاً، وذلك من خلال دراسة مؤشرات بناء الإنسان لتأهيله للبناء العمراني الاستخلافي.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تنطلق مشكلة هذه الدراسة من تأمل حال الإنسان المسلم كفرد وكمجتمع، والنظر في تدني مكانته وإنجازاته، في حين أنه يتوقع أن يكون في المقدمة بسبب منهج الهداية الذي تشرّف به، والذي يتميز بأنه يكرِّم الإنسان، ويهديه للتي هي أقوم، ويجعل أمة الإسلام خير أمة، وبناء عليه تطرح سؤالاً جوهرياً: **ما مجالات بناء الإنسان في الرؤية القرآنية؟**

ينبثق من ذلك السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما مجالات بناء الفرد في الرؤية القرآنية؟
٢. ما مجالات بناء المجتمع وبناء مسيرة الإنتاج في الرؤية القرآنية؟

أهداف الدراسة:

١. بيان مجالات بناء الإنسان في الرؤية القرآنية.
٢. بيان مجالات بناء المجتمع وبناء مسيرة الإنتاج في الرؤية القرآنية.

أهمية الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تقديم قيمٍ مضافة في كل من الجوانب: العلمية المعرفيّة، والواقعيّة الحضاريّة، التي يتوقع منها أن تفيد الباحثين في التفسير وفي علوم القرآن وفي علوم الاجتماع، وتفيد المربين والمدربين في مجالات التربية وتطوير الذات، وبالتالي تفيد الأمة،

وتفيد العالم – بإذن الله – وذلك وفق النقاط الآتية:

مناهج الدراسة:

تتبع الدراسة كلاً من المناهج: الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، والاستدلالي، وفقاً للآتي:

١-المنهج الاستقرائي التامّ لمواضع ورود الموضوع في القرآن الكريم، بحيث تحقق أحد ألوان التفسير الموضوعي وهو تتبع الموضوع في القرآن الكريم كاملاً.

٢-المنهج الاستنباطي في استخراج دلالات الآيات.

٣-المنهج الاستدلالي في الربط بين الآيات للوصول إلى الهدايات.

الدراسات السابقة:

لقد تبين من خلال البحث والاطلاع؛ أن موضوع بناء الإنسان من منظور قرآني قد تم طرقه من الباحثين من زوايا مختلفة، بعضهم تناوله من زاوية فكرية، وبعضهم درسه من زاوية تربوية.

١- **{القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، سليمان الدقور}**هي دراسة قرآنية صدرت في كتاب من منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم في عمان-الأردن، عام ٢٠١٥م، تقع في ٢٢٧ صفحة، تبحث في استكشاف أدوار الإنسان ومهامه في الحياة وفق الرؤية القرآنية، لبناء الأمة الرسالية، وذلك من خلال تسع معادلات قرآنية: معادلة الهداية، معادلة الإعداد، معادلة الإنسان الأعلى، معادلة التكوين، معادلة القيام، معادلة الحركة والنفرة، معادلة الحذر، معادلة الثبات، معادلة النهضة، تلتقي تلك الدراسة مع هذا البحث في أنها تركز

على صناعة الإنسان في الرؤية القرآنية، وتختلف عنها في طريقة تناول الموضوع، وزوايا النظر له، حيث أن هذا البحث يركز على صناعة الإنسان الفرد في الرؤية القرآنية في جوانبه الشخصية الخمس، وكذلك في صناعة المجتمع، ويستفيد من تلك المعادلات في مجالها.

٢- **{بناء الإنسان في القرآن، كفاح أبو هنود}** هي دراسة قرآنية صدرت في كتاب من منشورات عصير الكتب، عام ٢٠٢٠م، تقع في ٣٢١صفحة، تحاول اكتشاف كيف صنع القرآن إنسان الرسالة، وكيف قامت حضارة إسلامية باهرة، بناء على تشرب الصحابة لمعاني كلمات الله، وذلك من استعراض ثلاث وخمسين لبنة قرآنية، تلتقي تلك الدراسة مع هذا البحث في أنها تركز على صناعة الإنسان الفرد في الرؤية القرآنية، وتختلف عنها في أن الدراسة تركز على لبنات ترتكز على آيات مرتبة حسب النزول، وأن هذا البحث يركز على صناعة الإنسان الفرد في الرؤية القرآنية في جوانبه الشخصية الخمس، ويستفيد من تلك اللبنات في مجالها،

كما أنه يركز على صناعة المجتمع كذلك.

خطة الدراسة وموضوعاتها المنهجية:

انطلاقاً من هدف بناء منهجية معتبرة مستوعبة لموضوع الدراسة فقد تم تقسيمها بعد المقدمة إلى: تمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وتوصيات.

تمهيد: يشمل الإطار المفاهيمي والمرجعي والمنهجي للبحث:

يحتوي هذا التمهيد المداخل الرئيسية لدراسة موضوع بناء الإنسان، من خلال بيان الدلالات المقصودة في عنوان الدراسة، وبيان مجالات العمران الرئيسة.

المطلب الأول: صناعة الإنسان.

المطلب الثاني: صناعة المجتمع، ومسيرة الإنتاج العُمراني.

الخاتمة: تحتوي أهم النتائج.

التوصيات.

تمهيد

الإطار المفاهيمي والتأصيلي للدراسة:

قبل الدخول في عمق الدراسة يحسن البدء ببيان مفاهيم مفردات العنوان حتى يتضح المعنى المراد والهدف المقصود، لذلك سيتم استعراض مفهوم (المجالات)، ومفهوم (بناء الإنسان)، وتعبير (في القرآن).

أ- **مفهوم المجالات:** لغةً هي جمع مجال، وهو موضع الجولان، وهو الحقل أو الميدان أو النطاق[١] .

وإن المجالات المقصودة في هذا المقام هي ميدان صياغة الإنسان باعتباره فرداً له جوانب في شخصيته، وباعتباره مجتمعاً يتألف من مؤسسات متنوعة.

ب- **مفهوم بناء الإنسان:** إن الإنسان المقصود في هذا البحث هو الفرد والمجتمع، كما تبين عند فريد الأنصاري حين قال: "وحينما نقول: (الإنسان) فهو الفرد والمؤسسة، وهو الوجدان الذاتي والجماعي، وهو الأسرة الواحدة والنسيج الاجتماعي، وهو العامة والخاصة، وهو المجتمع والدولة.. إلى غير ذلك من الثنائيات التي يستوعبها مصطلح (الإنسان)" [٢]، وأما البناء فهو في اللغة (يعود معنى جذر الكلمة (بنى) إلى أصل واحد هو ضم الشيء بعضه إلى بعض، وهونقيض الهدم)[٣] ، وموضوع البناء في القرآن الكريم، لم يرتبط بالإنسان، بل ارتبط دوماً بالأشياء، ولكن يستخدم هنا بمعنى تربية الإنسان وهدايته وصناعة شخصيته في جوانبه المختلفة، فرداً كان أو مجتمعاً.

وعليه يكون مفهوم بناء الإنسان المقصود في هذه الدراسة يتخذ منحنيين:

١- صياغة جوانب شخصية الفرد: العقلية، والوجدانية، والجسمية، والمهارية، والتواصلية

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، القاهرة، علم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ج١، ص ١٢٤.

(٢) بلاغ الرسالة القرآنية؛ من أجل إبصار لآيات الطريق، فريد الأنصاري، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١،ص١٦

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٠٢/١

٢- صياغة نسيج المجتمع بمؤسساته المتنوعة: التربوية، والتعليمية، والعلمية، والفكرية، والإعلامية، والقانونية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية.

-تعبير (في القرآن): ويقصد به استقراء الآيات التي تتحدث عن هداية الإنسان الفرد وصناعته، بجواب شخصيته الخمسة، والتي تتحدث عن بناء المجتمع بمؤسساته المتنوعة.

المطلب الأول: بناء الإنسان الفرد:

إنّ بناء الإنسان الفرد المؤمن تبدو محل تطبيق مقاصد القرآن العُليا، فهو الذي يُطلب منه التوحيد، وهو المقصود بالتزكية، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ البقرة: ٢؛

لذلك أولى الخطاب القرآني اهتماماً كبيراً بقضية بناء الإنسان الفرد؛ فهو الكائن المكرَّم، المخاطَب في القرآن، والمستخلف في الأرض، والمكلّف بعمارتها، والمحاسب على فعله فيها.

أولاً: البناء العقلي:

ظهر اهتمام الخطاب القرآني ببناء عقلية الإنسان جليّاً عندما كان العلم أول مؤهل منَّ الله به على آدم عليه السلام ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ... ٣١ ﴾ البقرة: ٣، وكان مفتاح ذلك العلم هو القراءة التي أمر الله تعالى بها مع بدء التنزيل ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾ العلق: ١، إنها القراءة ذات المنهج الربّاني ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ...﴾، التي تشمل التفكر بمخلوقات الله كافّة ﴿.. ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؛ أي التي توجه النظر نحو الآيات القرآنية، والآيات الكونية، والآيات التكوينية [1]،

---

(١) ينظر: التفكر في آيات الله الكونية والتكوينية والقرآنية، محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي الالكترونية، ٢٠١٤/١١/١٦- وقد تناول ذات الأمر طه جابر العلواني، في كتابه: التوحيد والتزكية والعمران، تحت مسمى (الجمع بين القراءتين، والمنهج التوحيدي للمعرفة) ، مرجع سابق -كما تناولها سليمان الدقور في كتابه: القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، مرجع سابق.

وقد كان القلم هو الوسيلة لذلك العلم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ العلق: ٤، القلم الذي أقسم الله تعالى به في قوله ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ القلم: ١.

أما الآيات الكونية فتظهر في الآيات القرآنية التي تدعو لتأمل خلق الله، وسننه فيها، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾ آل عمران: ١٩٠ - ١٩١، حيث ختمت الآية الأولى بعبارة ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ والمقصود ب" «أولي الألباب» من الناس، الذين لا يمرون بهذا الكتاب المفتوح، وبهذه الآيات الباهرة مغمضي الأعين غير واعين، إذن هم الناس الذين يتفكرون بالآيات الكونية، فيصلون بها للخالق، من جهة، ويتفهمون سننها وقوانينها، من جهة أخرى، فيقومون بمهمتهم في عمارة الأرض.

وأما آيات الله التكوينية فتظهر في الآيات القرآنية التي تدعو إلى تأمل أفعال الله، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٦٩ ﴾ النمل:٦٩، والنظر هنا هو التأمل العقلي في التاريخ، وفي السنن الاجتماعية.

وقد نبّه القرآن إلى مداخل تحصيل المعلومات، وإلى مسؤولية الإنسان تجاه تفسيره للمعلومات ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦ ﴾ الإسراء: ٣٦، وحفّز على البناء الفكري من خلال مفردات ترتبط به مثل: يتفكرون، يعقلون، يتذكرون، يتدبرون، وحول هذا قال الشعراوي: " قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي أنها عجائب لقوم يعقلون، وحين يقول الحق: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فكأنه ينبه الملكة المفكرة العاقلة في الإنسان." [1].

(١) تفسير الشعراوي، الشعراوي، مرجع سابق، ٢/ ٦٩٢

ثانياً: البناء الوجداني:

لقد احتلت قضية البناء الوجداني للإنسان حيزاً واسعاً في الخطاب القرآني، ذلك الوجدان الذي يقصد به العالم الداخلي في النفس الإنسانية؛ محل الإيمان، والمشاعر، والانفعالات، حيث وردت الآيات تعمّق الإيمان وتزيده، وتوجّه مشاعر الفرد، وتضبط انفعالاته، وتبث فيه السلام الداخلي، وتهبه القوة، وتمده بالثبات الذاتي، وتحقق له التوازن الشخصي في مسيرة البناء العمراني.

وإن أعلى القيم التي حرص الخطاب القرآني على زرعها في وجدان الإنسان هي قيمة الإيمان بالله الواحد، فهي التي تبني وشائج الصلة مع الله عز وجل، وتمنح الإنسان قوة ذاتية، وثباتاً واطمئناناً، وتمدّه بالبصيرة والفاعلية خلال المسيرة العمرانية، لذا كثرت عبارة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وذلك في سياق الدعوة للإيمان، وبيان سبيله، وبيان أجره وجزائه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾ البينة: ٧،

وقد جاء تعزيز ذلك الإيمان بالتنبيه لقرب الله من ذات الإنسان ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦ ﴾ ق: ١٦،

وآيات تبيّن علم الله بما يسرّ الإنسان وما بما يجهر ا، وعلمه بسلوكه وكسبه ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣ ﴾ الأنعام: ٣، وآيات تبيّن استجابته تعالى للدعاء ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ البقرة: ١٨٦، كذلك بيّنت الآيات السبيل الحركي للوصول إلى مرتبة الإيمان الحق ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ المزمل: ٢ - ٤،

إنها العبادة الواعية، في أفضل الأوقات، حتى تنشأ النفس السويّة، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾ المزمل: ٦.

ومن الأمور التي تغذي الوجدان بيان مواطن المحبة الإلهية للعبد، كجزاء مقابل الإحسان والتوبة والتطهر والتقوى والصبر والتوكل والقسط: ﴿ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة: ١٩٥، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ آل عمران: ١٤٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ التوبة: ٤، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المائدة: ٤٢.

وحرص الخطاب القرآني على تعزيز قيمة الجمال الحسي في وجدان المؤمن، فشد انتباهه لجمال الأنعام التي تقدم له المنافع ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ النحل: ٦، كما لفت نظره لجمال الطبيعة الخلّابة من نبات وجبال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ فاطر: ٢٧، هذا ولم يغفل الجمال المعنوي المتمثل في جمال الأخلاق، حيث ورد على لسان لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ لقمان: ١٨ - ١٩، فرسم بذلك صورة إنسان جميل الخلق والسلوك، يفيض وجدانه باللطف والجمال.

ومن القيم القرآنية التي تغذي وجدان الإنسان قيمة "الإحسان"، التي تترافق مع مهارة إدارة الانفعالات، والتي وردت في سياق بيان صفات المتقين ﴿ ... وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤، إضافة إلى قيمتي الصبر والتقوى، والطريق لهما عبر التسبيح اليومي ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ طه: ١٣٠.

إن بناء الوجدان في ذات المؤمن يجعل عنده مؤشراً ذا حساسية عالية تكشف الأعداء، وإن ظهروا بصورة بهية، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ المنافقون: ٤، مما يوقظ قيمة الحذر من العداوة في نفس الإنسان المؤمن، ويحفظه ويحفظ جهوده في العمران.

ثالثاً: البناء الصحي:

لأن الجسم وعاء الفكر والوجدان، ولأنه مناط القوة، فقد أولاه الخطاب القرآني رعاية خاصة، فاهتم ببنائه من الداخل بالصحة السليمة، وأرشده لطريقة الغذاء السليم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ البقرة: ١٧٢، ﴿....وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأعراف: ٣١، واهتم بنظافته وطهارته، فكان التوجيه بالطهارة من أوائل التوجيهات التي نزلت في القرآن الكريم ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ المدثر: ٤، كما اهتم بجماله الخارجي وربطه بالعبادة ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... ﴿٣١﴾ ﴾ الأعراف: ٣١، وأشار إلى قوة الجسم وأهميتها في مسيرة الحياة ﴿ ... وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ هود: ٥٢، وهكذا يكون الاهتمام بجسم الإنسان وفق منظومة متكاملة هي منظومة؛ الصحة، والنظافة، والقوة، والجمال.

رابعاً : بناء العلاقات:

لقد اعتنى الخطاب القرآني بتنظيم العلاقات بين الناس، في دوائرها المختلفة، فرسم خريطة متكاملة لمجمل علاقاته، حيث بدأ بالدائرة اللصيقة وهي دائرة الأسرة، ثم الدائرة الأوسع مع الأقارب، فالأوسع مع الأصحاب والمعارف، لتتسع أكثر مع المؤسسات المختلفة، وصولاً إلى العلاقة مع الوطن،

ثم العالم بأسره، ولم يغفل القرآن العلاقة مع البيئة المحيطة بما فيها من كائنات متنوعة.

في دائرة الأسرة تحدّث القرآن عن العلاقة الزوجية، وعن آثارها المرجوة في شخصية الفرد، فذكر مقصد المودة والسكينة والرحمة منها، مما يجعلها وسيلة تنموية لذات كل من الزوجين ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١، وتحدث عن قيمة المسؤولية التي تحققها القوامة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ... ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء: ٣٤، كما أحاط تلك العلاقة بما يحفظها فأشار لقضية الصلح ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ النساء: ١٢٨، مما يرجى منه أن تكون الأسرة نواة لراحة الفرد ونجاحه في مسيرة العمران.

وتحدث عن العلاقة مع الأبناء في مجالات متعددة، مثل حفظ حقهم في الحياة ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ ﴿٣١﴾ ﴾ الإسراء: ٣١، وحقهم في التربية الإيمانية ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢، وحقهم في التربية السلوكية ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ لقمان: ١٩، وحقهم في الدعاء ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الفرقان: ٧٤، فمهّد لإنشاء أجيال مؤهلة لتحمل مسؤولية العمران والاستخلاف.

أما العلاقة تجاه الوالدين فقد وردت آيات كثيرة تضبطها، منها آية جامعة لكثير من العلاقات معها ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

إِحۡسَٰنًا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ النساء: ٣٦، مما يمهّد لإنشاء مجتمع مترابط، ومؤثر في الآخر.

في دائرة الأصحاب تم توجيه الفرد للصحبة التي ترتفع بالذات ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ الكهف: ٢٨

كذلك أرسى الخطاب القرآني أسساً لصناعة علاقات متينة مع الآخرين؛ فدعا لأحسن القول ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ... ﴿٥٣﴾﴾ الإسراء: ٥٣، ونهى عن سلوكات تؤذي العلاقات وتفككها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ الحجرات: ١٢، كما نظم العلاقات المالية بين الناس؛ في الدَين، وفي التجارة، وفي البيوع؛ وغيرها...، ففي مجال الدَين وجه لحسن حفظ الحقوق، وفي مجال التجارة وجّه للشهادة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ .... إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ ... ﴿٢٨٢﴾﴾ البقرة: ٢٨٢، وفرّق بين البيع وبين الرّبا ﴿... وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ... ﴿٢٧٥﴾﴾ البقرة: ٢٧٥، بل ونظم علاقاته مع الأعداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ المائدة: ٨.

واعتنى الخطاب القرآني ببناء علاقة حسنة بين الإنسان وبين المخلوقات المتنوعة، فوجّه نظر الإنسان لها، وأعلى من شأنها

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ الأنعام: ٣٨، وبيّن حالتها المسبحة لله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ... ٤٤﴾ الإسراء: ٤٤، مما يخلق تناغماً بين الإنسان وبين عناصر الطبيعة، ويمهد للتفاعل الحسن مع المسخّرات، وتحقيق عمران الأرض.

خامساً: بناء المهارات والقدرات:

إن بناء المهارات لدى الإنسان يرتكز على معرفة مواهبه وتنميتها واستثمارها، وإن قضية المهارات في الخطاب القرآني انضوت **تحت قاعدتين رئيستين:**

(الوسع والإيتاء):﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ... ٢٨٦﴾ البقرة: ٢٨٦، ﴿... لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾ الطلاق: ٧، وبين هاتين الآيتين تأتي قاعدة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ التغابن: ١٦، وإن اكتشاف الوسع والإيتاء قد ترك للجهد البشري المستنير بالسيرة النبوية وبعلوم النفس والشخصية، وإن السيرة النبوية الشريفة حافلة بما يوضّح هذا الموضوع، ويظهر الأمر جلياً في الوصف النبوي لسمات الصحابة: " أرحَمُ أمَّتي بأمَّتي أبو بَكْرٍ، وأشدُّهم في دينِ اللَّهِ عُمرُ وأصدقُهُم حياءً عُثمانُ، وأقضاهُم عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأقرأُهُم لِكِتابِ اللَّهِ أبيُّ بنُ كَعبٍ، وأعلمُهُم بالحلالِ والحرامِ مُعاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضُهُم زيدُ بنُ ثابتٍ، ألا وإنَّ لِكُلِّ أمَّةٍ أمينًا، وأمين هذِهِ الأمَّةِ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجرَّاحِ" [(١)]،

مما انعكس في طريقة التوزيع النبوي للمهام على الصحابة، الأمر الذي نجده

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، ت ٢٧٣ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ، حديث رقم ١٥٤، ١/٥٥، الحديث صحيح على شرط الشيخين.

موضّحاً في دراسات مختصة[1].

يساعد بناء المهارات والقدرات على ترشيد الحركة والسعي المطلوب من الفرد ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ النجم: ٢٩ - ٤٠، وفيه انتقاء لنوع السعي الذي يحقق التيسير ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ الليل: ٤ - ٧، فكلما كانت القدرات الشخصية واضحة جلّية فاعلة كان العطاء أفضل، كذلك فإن موضوع بناء القدرات يحقق جودة القيام، فالقيام لايتم بوجهه الأمثل إلا بتوفر القدرة عليه، فعندما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الروم: ٤٣، كان السياق ذم ظهور الفساد في البحر، والدعوة للإصلاح ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ... ﴿٤٣﴾﴾ الروم: ٤١ - ٤٣، فإن القدرة على الإصلاح في الأرض ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإقامة الدين القيم.

المطلب الثاني: صناعة المجتمع ومسيرة الإنتاج العُمراني:

تظهر موجهات بناء المجتمع في آيات عدّة، تمثل كل منها جوانب من الإنتاج، مثل الزراعة والصناعة والبناء والمواصلات وغيرها، كما تظهر فيها مجالات التعليم، والإعلام، والاقتصاد، والسياسة.. الخ، وغيرها مما سيتبيّن لاحقاً، مثالها في مجال الصناعة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ

(1) ينظر: مدرسة الصحابة، رضا الحديثي ، الجزء الأول (التاصيل)، اسطنبول: نشر talents٤، ٢٠٢٠م.

وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ ... ﴿٨١﴾ ﴾ النحل: ٨١، وقوله: ﴿ ... ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ سبأ: ١٠ - ١١، وترتبط مسيرة الإنتاج بصناعة الفرد والمجتمع، فكلما ارتفعت نسبة الصلاح الفردي والجمعي في الأمة كان مجال الإنتاج أكثر جودة، وأقرب إلى الترقي العُمراني الاستخلافي.

يشمل هذا المجال كافة الأنظمة اللازمة لإدارة حركة الأمّة، بدءاً من الفرد، ومروراً بالمجتمع ومؤسساته، وانتهاءً بالدولة والأمّة، وتتمثل تلك الأنظمة في الجوانب التربوية [1]، والتعليمية والتنموية والإعلامية والاقتصادية، والسياسية، والقانونية، والعسكرية.

وقد يستغرق الخوض في أنظمة كل جانب دراسة متكاملة، يضيق عنها المقام، ولكن يصلح هنا إيراد منطلقات تنظيمية عامّة في كل مجال، مستقاة من المنهج القرآني وهداياته، توجّه بوصلة المسيرة العمرانية نحو الاستخلاف، وتُضبط بها الحركة الفاعلة للفرد وللمجتمع في كل عصر، وتنسق بها الجهود الفردية في نطاق المؤسسات، وتنظم بها الجهود المؤسسية في نطاق الدولة، وترتقي بها إلى مرتبة الأمة.

١- مجال التعليم الشامل:

يرتكز هذا المنطلق على دلالة : ﴿ كُلَّهَا ﴾ في قوله تعالى:﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ البقرة: ٣١،

وقد احتوى الخطاب القرآني عدة إشارات تدل على محتويات ذلك العلم، من ذلك الإشارات التي تدفع الإنسان للتعمق في استخدام الأرقام، والتوسع في دراسة المقادير في معرفة الكون والحياة والإنسان

(١) سبق بيان المجالات التربوية عند ذكر البناء الفردي والجمعي؛ ص ١٥٢ – ١٦٦

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ يونس: ٥، لذا فإن ضمان دوام المسيرة العمرانية يلزمه العلم بالمقادير والحساب، وأولئك الذين وصفوا بالعلم في قوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ، مما يدّل على أن غيرهم ممن لايتقنون العلوم المرتكزة على الحساب هم قوم لايعلمون؛ لذا فإن الإحاطة بكل المستجدات العلمية ضرورة لوجود الأمة ودوام تفوقها، وإن الواقع والتاريخ يثبت ذلك، فما ارتفعت أمة، وما دام ارتفاعها وهي تحتاج في أمورها إلى غيرها، لذا عدّ العلماء التمكن في العلوم من فروض الكفاية [1]، وذهب بعضهم إلى أن فروض الكفاية أولى من فروض العين[2]، مما يدلّ على أن تحقيق العمران يحتاج إلى الإحاطة الجمعية بأنواع العلوم كافّة، وإتقانها والارتقاء بها.

٢- مجال التعليم المنهجي:

ينطلق التعليم المنهجي من القراءة المنهجية التي يشير لها مدلول الآية: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ العلق: ١، إنه المنهج الذي يرشد باسم الله ﴿ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾، إنه المنهج الذي يوجّه لمجالات القراءة؛ ألا وهي قراءة الكتابين: المسطور والمنظور﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ، ويوجه للاهتمام بتفاصيل الخلق مهما صغرت

---

(١) يقول الإمام الغزالي: "فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات "، إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (ت ٥٠٥ هـ) بيروت: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٤

(٢) عدّ بعض العلماء أن القيام بفرض الكفاية أولى من القيام بفرض العين، وممن ذهب إلى هذا القول أبو إسحاق الإسفراييني وأبو محمد الجويني، وغيرهم، وبينوا لنا العلة من ذلك القول، وهي أن الذي يقوم بفرض العين إنما يسقطه عن نفسه، أما من يقوم بفرض الكفاية فإنه يسقطه عن نفسه وعن الأمة جميعًا؛ فالنفع في فرض الكفاية متعدٍّ، وأما نفع فرض العين فمقصور على الشخص، ينظر: مقال: فروض الكفايات ودورها في نهضة المجتمعات، مراد سلامة، موقع الألوكة، ٢٠١٧/٢/٧، تاريخ الزيارة: ٢٠٢١/٥/٢٤م.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ العلق: ٢، وهذا كله يعني أن مايبنيه العلم من فكر هو الأساس في أي نشاط عمراني، لذلك كثرت الآيات التي تذكر مقام التفكر، مثالها قوله تعالى:﴿... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ آل عمران: ١٩١، حيث يتم للانتقال من المحسوس إلى المعقول، الأمر الذي يرشد المؤسسات التعليمية الشرعية إلى الاهتمام بالواقع، ومحاولة استيعابه بكل تفاصيله، وعدم تجاهله خلال العملية التعليمية، كما يوجّه التخصصات الأخرى للاندماج مع إشارات الوحي، لتبني عليها منطلقات فاعلة.

٣- مجال التعليم التطبيقي:

إن خير ما يوضح مفهوم التعليم التطبيقي ما ورد من خلال القصص القرآني، ومن ذلك موقف ذي القرنين في إنشائه للسد الحامي من يأجوج ومأجوج، حيث طبق علمه في الواقع، ونقل خبرته إلى القوم، وجعلهم يمارسون الأمر ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ۝٩٥﴾ الكهف: ٩٥، وذلك وفق علمه الذي مكّنه الله به ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾، كما أنه استخدم ثروات الأرض المسخرة من حديد ونحاس مذاب ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ۝٩٦﴾ الكهف: ٩٦، حتى أقام بنياناً متيناً يصمد في وجه العدوان ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ۝٩٧﴾ الكهف: ٩٧، وهذا المنهج يُعدّ نموذجاً في التعليم وقيادة الجماهير، وصدّ العدوان، وإقامة البنيان في الأرض.

٤- منطلق الإعلام المؤثر:

لقد احتوى الخطاب القرآني عدة آيات مفتاحية تدل على أهمية دور الإعلام في التأثير، من أهمها قوله تعالى: ﴿... وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ

أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ النساء: ٦٣، ذلك القول الذي يحاكي النفس البشرية، ويبلغ آفاقها فيؤثر فيها ويصنعها، بل يصنع الرأي العام، ويؤثر في صناعة العُمران، القول الذي ينبني على مؤهل البيان، الذي أودعه الله في الإنسان ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ الرحمن: ٣ - ٤، ويرتكز على حسن التواصل بالكلمة والدعوة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت: ٣٣، ويتميز بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن ﴿... وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴿١٢٥﴾﴾ النحل: ١٢٥، ويعمل على جمع شمل الإنسانية من الخسر ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ العصر: ٢ - ٣، ويواجه الإعلام المعادي بالإعلام المضاد ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ هود: ١٣، فعندما جاء الهدهد بخبر سبأ وقال: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ النمل: ٢٢، اتخذ سليمان عليه السلام موقف الحيطة والحذر، فقال: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ النمل: ٢٧، إذن الإسلام يبني أسساً يرتكز عليها الإعلام الفاعل والمؤثر في المسيرة العمرانية.

٥- مجال اقتصاد الماعون:

إن ((اقتصاد الماعون)) هو الاقتصاد المنطلق من مقصود قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ الماعون: ٧، حيث ورد السياق يذم من يمنعون الماعون وكأنه يدعو لاقتصاد الماعون، فهو الاقتصاد الذي يعين الناس على إقامة دينهم ودنياهم، ويساعدهم في إصلاح حياتهم وحياة الآخرين.

مما يبيّن أن الاقتصاد يأخذ دوره الفاعل والمحرك في مسيرة العمران حينما يتم استثمار الموارد الطبيعية المسخرة على النحو الأمثل، وحينما ينتفي الظلم في التوزيع، قال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ إبراهيم: ٣١ ـ ٣٤

إن اقتصاد الماعون المحرّك – وفق المنظور القرآني – يخضع لعدة سنن وقوانين إلهية، منها قانون الوفرة، وقانون الميزان، وقانون الاستقامة، وقانون التقوى، وقانون الاستغفار، وغيرها.

قانون الوفرة يعني أن الكون زاخر بالنعم والرزق والفرص التي تكفي الناس جميعاً في مختلف الأزمان،

ويبدو في قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ الجاثية: ١٣،

وقانون الميزان يعني أن كل شيء خُلق بقدر﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ ﴾ القمر: ٤٩، ويعني أن ما يتاح من المياه والثروات الطبيعية بقدر

﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ ﴾ الزخرف: ١١، ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ الحجر: ٢١، وقانون الاستقامة يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ ﴾ الجن: ١٦، فالاستقامة سبيل لتوفر الرزق، باعتبار أن الماء رمز للرزق، أما قانون التقوى الذي يجلب الرزق فدليله قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ

ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ٩٦، قانون الاستغفار يبدو في قوله تعالى ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٠ - ١٢، وقد سبق الذكر أن الاستغفار أكثر من ذكر باللسان، بل إنه منطلق في التوبة والتغيير لتحقيق الإصلاح.

٦- مجال السياسة الرشيدة:

لقد ذم الخطاب القرآني السلطة غير الرشيدة، التي تدمر العباد، حيث ورد عن فرعون ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ ﴾ هود: ٩٧، في حين مدح صاحب السياسة الرشيدة، ممثلة في ذي القرنين، حيث قال عنه: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الكهف: ٨٤ - ٨٥، حيث تجلت سياسته الرشيدة في خمس نقاط رئيسة، حين ساس قومين في مغرب الأرض وفي مشرقها؛ النقطة الأولى: محاربة الفساد والظلم بقوة وحزم، النقطة الثانية: مكافأة أصحاب الأعمال الصالحة بالحسنى والتيسير، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ الكهف: ٨٧ - ٨٨، النقطة الثالثة: حسن استثمار الموارد الطبيعية والبشرية في تحقيق التنمية المطلوبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ الكهف: ٩٥ - ٩٦، وأما ما ورد في قوله تعالى ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ الكهف: ٩٧،

فقد تجلت فيه النقطة الرابعة، وهي الحذر من الأعداء والتصدي لهم، والتفوق عليهم، أما النقطة الخامسة فهي إرجاع كل نجاح للمنهج الرباني، وقد ظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ الكهف: ٩٨، والنقطة الأخيرة هي استشراف المستقبل، وفق وعد الله ﴿ ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ الكهف: ٩٨، وبناء عليه يبدو أن مفهوم السياسة الرشيدة في المنظور القرآني يعني إصلاح ما أفسده الناس، وضمان استمرار ذلك الإصلاح [1].

٧- مجال الإدارة الحكيمة:

لقد احتوى الخطاب القرآني منطلقات إدارية حكيمة، جديرة بتنظيم المجتمع، وقيادته نحو العُمران، مثالها ما ورد في سورة الأحزاب، التي قال عنها النصيرات إنها جمعت الوظائف الإدارية الخمسة: التخطيط والتوظيف والتنظيم والتوجيه والرقابة، حيث بيّن أن التخطيط ظهر في التشريعات الإلهية التي تحفظ كيان الأسرة على مرّ الزمان، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٢، وأن التوظيف ظهر في حثّ كل فرد على القيام بالمهام الموكولة إليه، ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ الأحزاب: ١٨، بينما قام عنصر التنظيم على المفاصلة، ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ الأحزاب: ٤، في حين ظهر التوجيه في

---

(١) الإصلاح السياسي من منظور قرآني، يونس محمود ياسين ، عمّان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ٢٠١٤م، ص ١٩

التوجيهات الأخلاقية، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ .... ﴿٥٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٣، وظهرت الرقابة من خلال النداءات المتكررة للنبي ﷺ أن يتابع ما يؤمر به، وأن يبدأه بأهل بيته ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب:٣٣ [1].

٨- مجال القوانين المهيمنة:

لقد أسس الخطاب القرآني لقاعدة تلزم المؤمنين بالخضوع للقوانين المنظّمة لحركة العُمران في المجتمع، حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ... ﴿١﴾ ﴾ المائدة: ١، ثم أورد كليات تنظّم المجتمع، يسترشد بها المعنيون في تقرير الأمور الجزئية وفق مقتضيات الزمان والمكان، من أهمها حماية الهوية، وحفظ سيادة المؤمنين، حيث وضع قانوناً عاماً يصلح لصيانة الهوية في مجال التعليم والإعلام والاقتصاد والسياسة وغيرها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ ... ﴿١١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١١٨، وأرشد لتحقيق العدالة الاجتماعية كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ... ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد: ٢٥، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ... ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٥، وعلى صعيد ضبط الأمور الاقتصادية وضع قانوناً عاماً يبين مصادر الرزق ﴿ ... وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ .. ﴿٢٧٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٥، وفي مجال ضبط

---

(1) ينظر: شخصية القائد في ضوء سورة الأحزاب، جهاد النصيرات، مكتبة عين الجامعة، مكتبة الكترونية، ٢٠١٥ م، ص ١٥، ١٦ بتصرف

العقـــود والاتفاقيـــات ورد قولـــه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الإسـراء: ٣٤، وهكـذا يبـدو أن القـوانين حـين تهـيمن علـى المجتمـع تـدفع كـل مـن الفـرد والمجتمـع للانضـواء في ظلهـا، وتسـاعد المجتمـع في الحفـاظ علـى كينونتـه، وعلـى سـلامة سـيرورته نحـو تحقيـق العمـران، كمـا أن قـوة القـوانين وهيمنتها تحمي وجود المنطلقات الجمعية من محاولة انتهاكها أو تجاوزها.

٩- مجال التنمية المستدامة:

يُعـدّ مصـطلح التنميـة المسـتدامة مصـطلحاً معاصـراً، رغـم كـون المفهـوم أصـيلاً في المنظـور القـرآني، فـإذا كـان مفهـوم التنميـة المسـتدامة هـو: " تلبيـة احتياجـات الحاضـر دون التـأثير علـى الأجيـال المقبلـة في تلبيـة احتياجاتهـا "[1]، تكـون الآيات المؤسسـة لـه هـي الـتي تـدعو للاسـتهلاك دون إسـراف، بمعـنى حفـظ حاجـات الأجيـال القادمـة، مثـل قولـه تعـالى: ﴿... وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأعـــــــــراف: ٣١، ﴿ ... كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعـــــــــام: ١٤١، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ الفرقان: ٦٧.

ويرتبط هذا المفهوم مع المنظور القرآني في نقاط أربع [2]:

- إدراك القـدرة الاسـتيعابية للبيئـة، والـتي يشـار لهـا في المنظـور القـرآني " بالميزان"، كما ورد في قوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ ﴾

الرحمن: ٧ - ٨.

---

(١) حوار حول هدي الإسلام في التنمية المستدامة، رامي كلاوي، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي- إدارة البحوث، ط١، ٢٠١٢م، ص ١٢

(٢) ينظر: الإسلام والتنمية المستدامة – رؤى كونية جديدة، عودة الجيوسي، عمّان: مؤسسة فريدريش ايبرت، ٢٠١٣م، ص ٢٣، ٢٤

-تقييم الواقع وفقاً لبعض المعايير المادية، والقيم المعنوية، التي يشار لها في المنظور القرآني " بالإحسان" ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠.

-اعتبار مصالح الناس وآرائهم عند صياغة السياسات، والذي يشار له في المنظور القرآني " بصلة الأرحام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ... ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠.

-التركيز على النهج البيئي الذي يركز على تناغم عناصر البيئة، والذي يشار له بالتسبيح ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ... ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء: ٤٤.

إذن يُعدّ مفهوم " التنمية المستدامة " منطلقاً رئيساً لتحقيق العمران، لأنه يعني الإصلاح المستمر، كما قال بأفضل: " التنمية المستدامة تعني إيصال الجيل الحاضر لأقصى ممكنات الصلاح والنفع الدنيوي والأخروي بما لا يؤثر سلباً على متطلبات الأجيال القادمة" (١)

١٠- مجال القوة العسكرية:

لقد حفل الخطاب القرآني بتنظيم الأمور العسكرية والقتالية تحت مصطلح (الجهاد)، أو تحت مفاهيم مقاربة: فمن الآيات ما ورد فيها الأمر بإعداد القوة في حالة السلم " ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠، ومنها بيان مواطن القتال وضوابطه، مثل قتال المقاتلين وعدم الاعتداء ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ البقرة: ١٩٠، أو قتال الذين ينكثون أيمانهم ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ... ﴿١٢﴾ ﴾ التوبة:

(١) الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، أحمد صالح بافضل، الدوحة: وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ٢٠١٤م، ص ٤١

١٢، ومنها التنبيه إلى الخامات الطبيعية التي تعين في صناعة أدوات القتال ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد: ٢٥.

ويجدر هنا البيان أن القوة العسكرية تعدّ ركناً أساسياً في بناء المشروع العُمراني، فهي التي توفر حالة الردع لكل من يحاول المساس بالكرامة الإنسانية، أو العزة المجتمعية، كما تشكل قوة حماية للمشروع العُمراني تجاه الأعداء.

خلاصة مجالات بناء الإنسان في الرؤية القرآنية

مجالات بناء الإنسان

تعريفها - مكوّناتها

ميادين بناء الفرد والمجتمع، وفق المنظور القرآني

صناعة الإنسان الفرد

صناعة المجتمع

صناعة الفرد:

تنمية قدرات الفرد الذاتية تنمية مستمرة كل قدرة حسب طبيعتها

(خلافية الترقي الفردي)

- **البناء الفكري**
- **البناء الوجداني**
- **البناء الجسمي**
- **بناء العلاقات**
- **بناء القدرات والمهارات**

مسيرة الانتاج:

الحركة المنتجة ضمن المسار التنظيمي الجمعي

(الترقي العُمراني الاستخلافي)

- - مجال تنظيم الحركة الفاعلة

التعليم: الشامل، المنهجي، التطبيقي.

منطلق الإعلام البليغ

منطلق اقتصاد الماعون

منطلق السياسة الرشيدة

منطلق القوانين المهيمنة

منطلق التنمية المستدامة

منطلق القوة العسكرية

المجالات

صناعة الإنسان + صناعة المجتمع ومسيرة الإنتاج

الخاتمة

تناول البحث مجالات بناء الإنسان في الرؤية القرآنية، وقد حُددت مجالات العَمران في مجالين اثنين: صناعة الفرد، وصناعة المجتمع من خلال مسيرة الإنتاج.

أولاً: صناعة الفرد: وتتمثل بما يسمى (خلافية الترقي الفردي)

وذلك من خلال تزكيته في جوانب شخصيته كافة، وتنمية قدرات الفرد الذاتية تنمية مستمرة كل قدرة حسب طبيعتها

- **البناء الفكري.**
- **البناء الوجداني.**
- **البناء الجسمي.**
- **بناء العلاقات.**
- **بناء القدرات والمهارات.**

ثانياً: بناء المجتمع من خلال مسيرة الإنتاج والإنجاز: وتتمثل بما يسمى (الترقي العُمراني الاستخلافي)، وهي الحركة المنتجة ضمن المسار التنظيمي الجمعي، ويكون بحسن بناء شبكة المسخرات البشرية وإدارتها وقيادتها،

مما ينتج عنه: الإصلاح التربوي، والاقتصادي، والسياسي، والإعلامي، والعسكري، ويتمثل في عدة منطلقات:

١- **منطلق التعليم: الشامل، المنهجي، التطبيقي.**

٢- **منطلق الإعلام البليغ.**

٣- **منطلق اقتصاد الماعون.**

٤- **منطلق السياسة الرشيدة.**

٥- **منطلق القوانين المهيمنة.**

٦- **منطلق التنمية المستدامة.**

٧- **منطلق القوة العسكرية.**

التوصيات:

تتلخص التوصيات في مجالات ثلاثة:

أولاً: المجال التعليمي:

١- إعادة النظر في المناهج التعليمية الشرعية، في المراحل الدراسية كافّة، بما يعزز مكانة الوحي كمصدر للعلم، وكموجّه للعمل الإنساني، وبما يعمّق العلاقة مع الكون، ويدفع نحو حسن استثماره، ويمهد لتعزيز فكرة العُمران في الذات.

٢- سد الفجوة بين المناهج التعليمية الإنسانية والعلمية، من جهة، وبين المناهج الشرعية، من جهة أخرى، بما يخلق تناغماً بينهم، وبما يساعد في رسم خطط بنائية، تنعكس على الواقع.

٣- توجيه نظر البحث العلمي نحو قضايا العُمران، وتعميق الدراسات الشرعية والعلمية والإنسانية فيه، بما يربطها بالحاضر والمستقبل.

٤- إصدار تفاسير تركز على القيم.

ثانياً: المجال التربوي:

١-ترسيخ قيمة الاستخلاف في الضمير الفردي والجمعي، وتحفيز موضوع " النفير الفكري" لإدراك قيمة الاستخلاف.

٢-وضع برامج لبناء إنسان العُمران (الفرد)، بما يحقق التوازن في شخصيته الإيمانية، وبما يكتشف قدراته ومواهبه، ليصير قادراً على العطاء والبناء.

٣- وضع برامج لصناعة الكيان الجمعي لإنسان العُمران، بما يجعله مؤهلاً للنفير العملي والجمعي.

ثالثاً: المجال العملي الحركي:

١-رصد الفروض الكفائية اللازمة في الأمة المسلمة، والعمل على إحيائها في المجتمع.

٢-بناء المهارات العلمية والعملية لدى أفراد ومؤسسات الأمة، لإنجاز الفروض الكفائية.

٣-اليقظة الدائمة للعداوات الداخلية والخارجية التي تحاول إحباط المشروع العُمراني، وإفشاله، وإنشاء منظومة حماية وقائية له، في المجالات الفكرية، والعقدية، والتربوية، والعملية.

المصادر والمراجع

١-**الإسلام والتنمية المستدامة – رؤى كونية جديدة**، عودة الجيوسي، عمّان: مؤسسة فريدريش ايبرت، ٢٠١٣م.

٢-**الإصلاح السياسي من منظور قرآني**، يونس محمود ياسين، عمّان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ٢٠١٤م.

٣-**تفسير الشعراوي**، الشعراوي، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، بدون تاريخ.

٤-**التفكر في آيات الله الكونية والتكوينية والقرآنية**، محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي الالكترونية،

٥-**حوار حول هدي الإسلام في التنمية المستدامة**، رامي كلاوي، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي- إدارة البحوث، ط١، ٢٠١٢م.

٦-**سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، ت ٢٧٣ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ

٧-**مدرسة الصحابة**، رضا الحديثي، الجزء الأول (التاصيل)، اسطنبول: نشر talents٤، ٢٠٢٠م.

٨-**معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عمر، القاهرة، علم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ج١.

٩-**مقاييس اللغة**، ابن فارس.